

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾:

وهنا يصدّقون مرة ثانية في خطبهم بنفس النمط الذي صدقهم إبراهيم، إلا أن هنا بين النكران والعرفان أمراً فادحاً إمرأاً: ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ...﴾.

فلو كان يعرفهم عند مجيئهم لما استوحش قائلاً ﴿فَلَا تَفْضَحُون﴾ فإنما عرفهم بعدما خرجوا أم عنده ثم العذاب، فيا له من موقف حرج مرج أمام هؤلاء المرسلين قبل أن يعرفهم، فهو في حيرة بين واجبه لضيفه وضعفه عن حمايتهم في وجه قومه المجرمين، فجاءه التوكيد بعد توكيد يطمئنه ﴿بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

و﴿بِالْحَقِّ﴾ هنا الوعد الحق على قومه، ثم أمر الإسرائاء، وطبعاً بعد ان عرفهم:

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾:

السري - كما فصلناها في الأسرى - هو سير الليل، ثم ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ يؤكد ليله أم ويعني أليل الليل وأظلمه، «قطع من الليل» من أواخره حيث العيون نائمة، والأجواء ناعمة ملائمة.

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ سراً في مؤخرهم أجمعين، لكيلا يبقى أحد منهم إلا سائراً، أو يتلصقاً تلقنا إلى أرض الوطن لحاجة وسواها، فتفلتا عن موكب الخلاص، أم تثاقلا عن السرعة اللازمة، بل: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى الوراء نظراً فضلاً عن وقفة، أو رجعة ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكُتُ﴾<sup>(١)</sup> حيث المنظر المنتظر

(١) سورة هود، الآية: ٨١.

عاجل هائل قد يبعث لقطع الحراك، أم لفتور عن العراك ﴿وَأَمْضُوا﴾ في ذلك السري ليلاً ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ فإن أمامكم هدي رباني، مهما كان إمامهم لوط أم رسل الوحي.

هذا ولذلك الموكب الناجي بشرى القضاء على المجرمين، نجاتهم أولاء أجمعين: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ لوط، وحيماً صارماً مقضياً لا قبل له ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ العظيم الأمر وهو: ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَتُولَاءِ﴾ المجرمين ﴿مَقْطُوعٌ مُّصِحِّينَ﴾ ﴿... وَلَا يَلْنَفْتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُ مُصِيبٌ مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (١) ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وقطع دابرهم لا يعني - فقط - قطع حياتهم عن بكرتهم، بل وكل ما دبروه وادبروه من حاجيات الحياة، حيث ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِقَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ (٣) فما أبقى ذلك الأمر لهم كياناً ولا كائناً إلا دمر.

نرى السياق يقدم ذلك المساق لعظمه، بارعاً للمؤمنين وقارعاً للكافرين، ولكي لا يفاجأ القارئ بما يفجع من الحالة الهائلة لآل لوط لما جاء أهل المدينة إلى ضيفه يهرعون:

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤)

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ...﴾ (٤): يساقون بعنف وتخويف حيث هم سيقه الشيطان، وهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بما تسامعوا من

(١) سورة هود، الآية: ٨١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٥.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٢.

(٤) سورة هود، الآية: ٧٨.

الضيف الواردين ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالعثور على شبّان بمختلف الجمال الرائع فهم إليهم هارعون.

فاجعة فاجئة بشعة منقطعة النظير في تاريخ الحيوانات والشهوات الشاذة، المريضة العريضة، أهل مدينة يهرعون مستبشرين إلى بيت النبوة السامية ليرتكبوا أبشع الجرائم اللاإنسانية بحق ضيف النبي الكريم، لا يكاد يتصور لولا وقوعه!.

فحتى لو كانت هذه العملية طبيعية أو شرعية، يختجل الإنسان أن يأتي بها جهاراً، وهؤلاء النحسون النجسون يتجمهرون للحصول عليها جهاراً وهي أبشع الشذوذات الجنسية المتخلفة، حالة من الارتكاس والحماة الحيوانية عديمة النظير، هم يتلمظون عليها، هارعين مستبشرين إليها!.

وترى ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ هم كلهم رجالاً ونساءً وأطفالاً؟ طبعاً لا! إلا رجالاً يأتون الذكران، وهم كلهم أم جلهم لحد يعبر عنهم بـ ﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ دون «من أهل المدينة».

فما هو دور لوط في هذه الجيئة الفجيعة، وليست له قوة ظاهرة قاهرة مدافعة؟:

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾:

﴿قَالَ يَفْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿١﴾﴾.

هنا يستحث لوط حسهم الإنساني، ويستثير رواسب المروءة والحياء ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ فللضيف حق تجب رعايته على أية حال، وللضيف حق وجاه ضيفه ألا يفضح ولا يخزي، فحتى لو كانت هذه العملية النكراء

(١) سورة هود، الآية: ٧٨.

مباحة، فالتهجم على بيتي وحمل ضيفي على ما يكرهون محرمة في شرعة الانسانية، وكيف يأمرهم بتقوى الله وهم كافرون بالله؟ عله لجوء إلى أقل قليل من معتقدهم بالله، إنه الله مهما كان له شركاء، وهذه العملية محرمة في شرعة الله وفي شرعة الناس، فلا أقل من إنكم من الناس، لكم ما لسائر الناس من عطف إنساني وسنة متبعة عند الناس، ولا أقل إنكم تعترفون بالله الذي حرم هذه العملية النكراء ﴿فَلَا نَفْضَحُونَ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونَ﴾!

﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ﴾ (٧٥):

﴿قَالُوا...﴾ وهم يؤنبون لوطاً بدل أن يتأنبوا، كأنما هو الجاني إذ خالف مناهيهم ومنها ﴿عَنِ الْعَلَمِينَ﴾ فالواو هنا تعطف إلى محذوف من قبيل المذكور: ألم ننهك عن الأمر والنهي فينا، وعن التطهر بيننا وعن ﴿أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ﴾ الذين نرغب فيهم ضيوفاً لك وسواهم أن تمنعنا عنهم، ونهيناك أن تضيف أحداً من العالمين حتى لا نهرع إليهم عندك، إذا فانت السبب في هذه الهجمة الجماهيرية إذ هيأت لها جوها، فانت أنت المقصر في هذا البين ونحن الواصلون هنا إلى بغيتنا!.

﴿قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ (٧٦):

﴿بَنَاتِي﴾ طبعاً هن من صلبه، دون تجوز في التعبير أن يريد بنات المدينة كلهن، أو الخليات من الأزواج، وتأكيذاً للحقيقة قولهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ (١) فإنهم لم يكونوا ليؤمنوا أن أهل المدينة ولده تنزلياً كما قيل حتى تكون بناتها بناته حسب هذا القيل، إذاً فهن بناته صليياً دون ريب. ثم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ (٢) تعني إن كنتم ولا بد فاعلين فعل الجنس فهؤلاء بناتي وقد خلقهن الله لحظوة الجنس!.

(١) سورة هود، الآية: ٧٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠.

وترى لوط النبي يعرض بناته ليفجر بهن الفجرة؟ عرضاً لما هم عنه معرضون! ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ (١)؟.

كلا! إنه عرض يلائم عرض النبوة السامية في ذلك المسرح المحرج المهرج، فحتى لو كان عرضاً للسفاح لكان أهون مما هم يريدون من اللواط ولكنه - بطبيعة الحال - عرض للنكاح: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ...﴾ (٢). ولا طهارة في السفاح فضلاً عن كونه أظهر؟، اللهم إلا أن يعني من «أظهر» هنا أدنى حرمة ودناءة، والتخفيف عن الحرمة هو من واجبات الداعية، وهو يعلم إنهم لا يأتون إلا حراماً لواطاً أم سفاحاً لا حلالاً ونكاحاً.

ثم إنكاح المسلمة للكافر وإن كان محرماً في شرعة الإسلام، ولكنه كان محلاً قبلها، بل وفي بداية الإسلام قبل الهجرة وقد زوج النبي ﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع وهو كافر قبل الهجرة!، ثم حرم بآية البقرة ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ (٣) وقد تلمح له آية الممتحنة ﴿وَلَا تُنكِحُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ﴾ (٤) بالأولوية القطعية في تزويج المؤمنة بالكافر.

وحتى لو كان محرماً في شرعة إبراهيم - ولوط من أمته - لكان نكاحاً محرماً تكليفاً لا وضعياً وهو أدنى حرمة من السفاح، كما السفاح أدنى من اللواط، وفي دوران الأمر بين محظورين يؤخذ بأخفهما، ولا ريب أن بناته أم سائر البنات المؤمنات هن أخف حرمة على أية حال من اللواط (٥) ومما يلمح له عرض البنات للذين يريدون اللواط حلية إتيان النساء من أدبارهن

(١) سورة هود، الآية: ٧٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٥) تفصيله إلى سورة هود فلا نعيد.

ولا ناسخ لها في القرآن<sup>(١)</sup> والسنة ليست لتنسخ القرآن، ولا فرق بين حكم القرآن صراحاً إسلامياً، أم نقلاً عن شرايع سابقة، في عدم تقبل النسخ، إلا أن ينسخه القرآن نفسه، ولا نسخ لجواز إتيان النساء من أعجازهن، وقد نسخت حلية التناكح بين المؤمنة والكافر، فأية لوط - إذاً - منسوخة من هذه الجهة، كما نسخت حلية التناكح بين مؤمن ومشركة، فأية امرأة نوح وامرأة لوط منسوخة من هذه الجهة.

وعلى أية حال إنه هتاف للفطرة الإنسانية مهما كانت دخيلة غير سليمة لعلها تستيقظ في هذا العرض لعرض النبوة السامية.

ولكنما القوم المرضى هم غارقون في سعارهم وشعارهم المتهتك اللعين، ولحد القول:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢):

فهم لا يفيقون ولا يسمعون هواتف الفطرة، وعواطف الانسانية، والشريعة الإلهية، لا! وحتى الفطرة الحيوانية السليمة، دائبون في سكرتهم، غارقون في سكرتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ تشبيهاً للمتلدد في غمرات الغي، بالمتردد في غمرات السكر، حيث يترددون في غيهم، ويتسكعون في ضلالهم!

﴿لَعَمْرُكَ﴾ هنا قسماً بحياة الرسول الأعظم ﷺ يخصه في سائر القرآن دون سائر النبيين<sup>(٢)</sup> فهو فضيلة له خاصة لا يدانيه فيها ولا يساميه أحد من العالمين، ولا نجد قسماً إلهياً في القرآن بهذه الدرجة السامية إلا «وربك» فإنها فوقه بغير حساب.

(١) راجع آية الحرث في البقرة حيث رجحنا فيها الحرمة.

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٠٢ أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة محمد قال: لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وحياتك يا محمد!

﴿لَعْمُرُكَ﴾ وأنت في أعلى عليين ﴿إِنَّهُمْ﴾ وهم في أسفل سافلين ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ بسعار حيواني، وثورة جنسية متخلفة في أسفل دركات البهيمية ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون حائرين مائرين.

وقد يعني العمر فتحاً ما هو أوسع من العمر ضمناً، إنه حياته ﷺ في كافة النشآت وليس لها انقطاع، فإنه ممن شاء الله ألا يصعق في الصعقة العامة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (١).

أترى بعد إنه خطاب للوط ﷺ ولم يخاطب إمامه إبراهيم ﷺ هكذا ولا إمامهما محمد ﷺ! فلعمره ﷺ إنه ليس ﴿لَعْمُرُكَ﴾ إلا له، حيث الخطابات القرآنية هي بطبيعة الحال موجهة إلى الرسول ﷺ إلا بقرينة قاطعة هي هنا فاقدة، بل ولا لمحة هنا لخطاب غيره، فلم يقل ﴿قَالُوا﴾ حتى يكون الخطاب من الملائكة وهو بطبيعة الحال في هذا المجال للوط ﷺ وإنما ﴿لَعْمُرُكَ﴾ دون «قال - أو - قالوا».

وقد بدأت الإنبئات موجهة إليه ﷺ من ذي قبل ﴿نَبِيَّ عِبَادِي...﴾ ﴿وَنَبِيِّهِمْ...﴾ وكل ما هنالك فيما بعد هي مواد الإنبئات للرسول ﷺ وإلى قوله تعالى ﴿لَعْمُرُكَ﴾ فأين لوط ومن فوق لوط في ذلك المسرح مخاطباً بـ ﴿لَعْمُرُكَ﴾!؟

وما يصنع لوط بهؤلاء السكارى العمهين ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠) ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ...﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ سَاقِهَا سَاقِهَا وَأَمَطْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ (٨٢) ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ (٨٣) (٢):

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ :

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعدما أسرى بأهله بقطع من الليل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين هؤلاء الحماقي في شروق الشمس، وآل لوط عنهم بعيدون لا يرون العذاب ولا يحسونه! .

فهناك ﴿الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ عذاباً في البداية ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ تدميراً كاملاً عن بكرتها، فما أبقت الصيحة عالياً إلا أسفله، ثم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ - فهل ترى لهم من باقية؟ .

وهذه الصيحة نموذجة يسيرة من صيحة الإمامة في قيامة التدمير، تجعل عالي المدينة سافلها، ولكي لا تبقى منهم باقية ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ وكما في أصحاب الفيل وإضرابهم من أهل السجيل .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ :

الوسم هو التأثير، والسمة هي الأثر، ف«المتوسمين» هم المتأثرون بتأثير، الناظرون المتفكرون المعجبون، والمتفلسون<sup>(١)</sup> المتبصرون «فأول

(١) الدر المنثور ٤ : ١٠٣ - أخرج البخاري في تاريخه والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم معاً في الطب وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر : ٧٥] قال : المتفلسين . وفيه أخرج الحكيم الترمذي واليزاز وابن السني وأبو نعيم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم . وفي نور الثقلين ٣ : ٢٤ عن بصائر الدرجات عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس مخلوق إلا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر وذلك محجوب عنكم وليس محجوباً عن الأئمة من آل محمد ﷺ ثم ليس يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمن أو كافر ثم تلا هذه الآية : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر : ٧٥] . ورواه مثله عن أبي عبد الله عليه السلام : وفي آخر عنه عليه السلام قال : نحن المتوسمون والسييل فينا مقيم .

المتوسمين رسول الله ﷺ ثم أمير المؤمنين ﷺ من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين ﷺ إلى يوم القيامة . . .» (١) .

(١) نور الثقلين ٣: ٢٤ عن عيون أخبار الرضا ﷺ بسند عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا ﷺ وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال: يا بن رسول الله ﷺ بأي شيء تصح الإمامة لمدعيها؟ قال: بالنص والدليل، قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة، قال: فما وجه أخباركم مما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله ﷺ قال: فما وجه أخباركم مما في قلوب الناس؟ قال له: أما بلغك قول رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله للأئمة مناماً فرقه في جميع المؤمنين وقال ﷺ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] فأول المتوسمين رسول الله ﷺ ثم . . . قال: فنظر إليه المأمون فقال له يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت، فقال الرضا ﷺ إن الله تعالى قد أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة، ليست بملك، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله ﷺ وهي مع الأئمة ﷺ منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله تعالى .

وفيه عن معاني الأخبار للصدوق - الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد فقلت له: يا بن رسول الله ﷺ في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها قال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فاسأل - قال فقلت له: يا بن رسول الله ﷺ وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي عنه؟ قال: بالتوسم والتفرس أما سمعت قول الله ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] وقول رسول الله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

وفيه عن تفسير العياشي عن جابر بن يزيد الجعفي قال قال أبو جعفر ﷺ بينما أمير المؤمنين ﷺ جالس بمسجد الكوفة قد احتبى بسيفه وألقى برنسه وراء ظهره إذ أتته امرأت مستعدة على زوجها فقضى للزوج على المرأة فغضبت فقالت: لا والله ما هو كما قضيت، لا والله ما تقضي ولا تعدل بالرعية، ولا قضيتك عند الله بالمرضية قال: فنظر إليها أمير المؤمنين ﷺ فتأملها ثم قال لها: كذبت يا جرية يا بذية، أيأ سلسل أياً سلفع، أيأ التي تحيض من حيث لا تحيض النساء، قال: فولت هاربة وهي تولول وتقول: يا ويلي ويلي ويلي ثلاثاً، قال فلحقها عمرو بن حريث فقال لها: يا أمة الله أسألك، فقالت: ما للرجال والنساء في الطرقات؟ فقال: إنك استقبلت أمير المؤمنين علياً بكلام سررتيني به ثم قرعك أمير المؤمنين بكلمة فوليت مولولة؟ فقالت: إن ابن أبي طالب والله استقبلني فأخبرني بما هو كتمته من بعلي منذ ولي عصمتي، لا والله ما رأيت طمثاً من حيث يرينه النساء، قال: فرجع عمرو بن حريث إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين ﷺ ما نعرفك بالكهانة، فقال له: وما =

والتوسم فرع الإيمان والتقوى، فهو درجات كما الإيمان درجات ولحد القمة المحمدية ﷺ .

فالتوسم في وجه عام هو التفرس للسر من العفن، وليس ليعلن لكل أحد، وإنما لمن ينظر بنور الله من المتفرسين، فالسيما وسم للمتوسمين كما يعرف الفقراء غير السائلين: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمِهِمْ لَا يَسْأَلُونَكَ النَّاسُ الْكٰفٰٓءُ﴾<sup>(١)</sup> وكما يعرف غير المؤمنين في لحن القول: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿كَمَا﴾ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> و﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾<sup>(٤)</sup> . فكل من سيما الخير وسيماً الشر لأهليهما بارزة للمتوسمين، وقد يتفرس المتوسمون دون رؤية إلى سيماهم، وذلك اسمى التوسم لأسمى المتوسمين ﴿وَأَنبَأَهَا لِبَسِيَلٍ مُّتَّبِعٍ﴾ .

وتلك بصيرة لمن يخرق حجب النور بعد خرقه حجب الظلمات، فليس جدار الظاهر حاجباً له عن رؤية الباطن، والتوسمات درجات حسب الدرجات، كما الغفلات دركات حسب الدرجات.

= ذلك يا بن حريث؟ فقال له: يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة ذكرت أنك أخبرتها بما هو فيها وإنما لم تر طمئناً من حيث تراه النساء؟ فقال له: ويليك يا بن حريث إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام وركب الأرواح في الأبدان فكتب بين أعينها كافر ومؤمن وما هي مبتلاة به إلى يوم القيامة ثم أنزل بذلك قرآناً على محمد ﷺ فقال: إن في ذلك لآيات للمتوسمين، وكان رسول الله ﷺ المتوسم ثم أنا من بعده ثم الأوصياء من ذريتي من بعدي، إنني لما رأيته تأملتها فأخبرتها بما هو فيها ولم أكذب.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣ .

(٢) سورة محمد، الآيتان: ٢٩، ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٦ .

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩ .